



الملتقى الدولي حول:

مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي

جامعة قلمة يومي 03 و 04 ديسمبر 2012



## دور البعد الأخلاقي في تعزيز مقومات التنمية المستدامة

-من منظور إسلامي-

أ. عنتر بوتيارة

جامعة المسيلة

د. بضياف عبد المالك

جامعة قلمة

الملخص : يعتبر موضوع العلاقة بين الأخلاق والتنمية من المواضيع الهامة الحديثة، وخاصة في ظل الأزمات البيئية التي يتعرض لها العالم، والناجحة حسب الكثير من الاقتصاديين والاجتماعيين ورجال السياسة عن عدم توفر البعد الأخلاقي في التنمية الاقتصادية.

يزخر الإسلام بمجموعة من القيم الأخلاقية التي تؤمّر بالاهتمام بالبيئة، وأن الاعتماد على هذه الأخلاق يعتبر من الحلول الناجعة في حل أو تجنب الأزمات والمشاكل البيئية.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى ربط البعد الأخلاقي بالتنمية المستدامة من منظور إسلامي، لتوضيح دور القيم الأخلاقية الإسلامية في الاهتمام بالبيئة، وعدم الإضرار بها مما يساعد على تعزيز مقومات التنمية المستدامة.

الكلمات الدالة: الأخلاق، التنمية المستدامة، البيئة، الإسلام.

Summary : The subject of the relationship between ethics and development of the important topics of modern, especially in light of environmental crises faced by the world, and caused by many economists and sociologists and politicians lack the moral dimension in economic development.

Abounding Islam with a set of moral values that commanded attention to the environment, and that reliance on this morality is one of the effective solutions to solve or avoid environmental crises and problems.

This paper aims to link the moral dimension of sustainable development from an Islamic perspective, to clarify the role of Islamic moral values in caring for the environment, and no harm by helping to strengthen the elements of sustainable development.

Key words: ethics, sustainable development, the environment, Islam.

شهد العالم خلال العقود الثلاثة الماضية إدراكا متزايدا بأن نموذج التنمية الحالي (نموذج الحداثة) لم يعد مستداما، بعد أن ارتبط نمط الحياة الاستهلاكي المنبثق عنه بأزمات بيئية خطيرة مثل فقدان التنوع البيئي، وتقلص مساحات الغابات المدارية، وتلوث الماء والهواء، وارتفاع درجة حرارة الأرض (الدفء الكوني)، والفيضانات المدمرة الناجمة عن ارتفاع منسوب

مياه البحار والأنهار، واستنفاد الموارد غير المتجددة، مما دفع بعدد من منتقدي ذلك النموذج التنموي إلى الدعوة إلى نموذج تنموي بديل مستدام يعمل على تحقيق الانسجام بين تحقيق الأهداف التنموية من جهة وحماية البيئة واستدامتها من جهة أخرى، ولكن هذه النماذج البديلة لم تفي بالغرض نتيجة بعض النقائص، مما أدى بالكثير إلى طرح البعد الأخلاقي في تعزيز هذه النماذج البديلة.

ركز العديد من الفلاسفة عبر التاريخ على المستوى الأخلاقي للأمم كمقياس هام وحاسم لمدى اندفاعها نحو الرقي والتقدم، أو لمدى تخلفها واستسلامها للتخلف والتمزق الاجتماعي، ربط هؤلاء الفلاسفة قدرات الأمة على الانطلاق نحو الانجاز في مختلف الميادين بالطاقة الأخلاقية التي تتميز بها، وبمدى انسجام السلوك العلمي مع المبادئ الأخلاقية التي تميز قادتها ومواطنوها، ولا بد أن النظر إلى البيئة من جانب أخلاقي يعد من هذه المبادئ الأخلاقية.

من الواضح أن هناك الآن على المستوى العالمي نقاشا محتدما حول المسألة الأخلاقية ونلاحظ أن الدول الغربية تركز بصورة أساسية على دور وحقوق الإنسان على اعتبار أن هذا يصب في صلب المتطلبات الأخلاقية للنهوض الأممي، ومن الملاحظ أيضا أن المسلمين الذين يتبعون الإسلام كمنهج حياة يعملون على تحدي القيم الأخلاقية الغربية بالقيم الأخلاقية الإسلامية التي يعتبرونها الأكثر صحة وديمومة.

### إشكالية البحث:

انطلاقا من العرض السابق يمكن عرض السؤال التالي:

كيف يساهم البعد الأخلاقي في الدين الإسلامي في تعزيز مقومات التنمية المستدامة؟

### فرضية البحث:

يتوفر الإسلام على مجموعة من الأخلاق الفاضلة تساهم في تعزيز مقومات التنمية المستدامة.

### أهداف البحث:

ويتمثل إسهام هذه الدراسة في تحليل أدبيات واتجاهات التنمية المستدامة من اجل تحقيق الأهداف التالية:

- التعريف بمفهوم التنمية المستدامة.
- التعريف بوجهات النظر المختلفة حول الأزمة البيئية وسبل مواجهتها.
- استعراض الجهود الدولية حيال تبني تنمية أكثر استدامة.
- توضيح أهمية البعد الأخلاقي في تعزيز التنمية المستدامة.
- تقديم بعض التوصيات والاقتراحات فيما يتعلق بحماية البيئة والعمل على استدامتها.

### أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في توضيح الأخلاق الإسلامية وكيف تساهم في تعزيز التنمية المستدامة بعد فشل المناهج التنموية المختلفة، لأن هذه المناهج تفتقد للبعد الأخلاقي والإنساني في علاج المشكلات البيئية، واستنزاف الثروات الطبيعية.

### تقسيمات البحث:

بغية الإجابة على الإشكالية المطروحة، واختبار الفرضية قمنا بتقسيم الورقة البحثية الى أربع أجزاء رئيسية:

- التنمية المستدامة: الإطار النظري.
- الأخلاق: الإطار النظري.
- كيفية مساهمة الأخلاق الإسلامية في تعزيز مقومات التنمية المستدامة.
- النتائج والتوصيات.

### أولاً/ التنمية المستدامة: الإطار النظري.

#### 1 - مفهوم التنمية المستدامة

عرف تقرير اللجنة العالمية عن البيئة والتنمية والمعروف بعنوان "مستقبلنا المشترك" عام 1987 التنمية المستدامة بأنها: "التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجاتهم" حيث ركزت فصول هذا التقرير على التنمية المستدامة ودور المجتمع الدولي في تحقيقها من جانبين أولهما حماية البيئة وثانيهما الحفاظ على مستقبل الأجيال القادمة، وقد جاء هذا المفهوم الجديد للتنمية ليحدث انقلاباً في المفاهيم التقليدية، بحيث دمج بين الأبعاد الاقتصادية، الاجتماعية والبيئية في نفس الوقت.

كما عرفت التنمية المستدامة بأنها: " التنمية الحقيقية ذات القدرة على الاستمرار والاستقرار والتواصل من منظور استخدامها للموارد الطبيعية، والتي يمكن أن تحدث من خلال إستراتيجية تتخذ التوازن البيئي الذي يهدف إلى رفع مستوى معيشة الأفراد من خلال النظم السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية التي تحافظ على تكامل الإطار البيئي، من خلال استخدام الأساليب العلمية والعملية التي تنظم استخدام الموارد البيئية وتعمل على تنميتها في نفس الوقت". وقد عرفت التنمية المستدامة في تقرير برونتلاند كما يلي:

"عملية للتغيير يتناغم فيها استغلال الموارد وتوجهات الاستثمار ومناخ التنمية التكنولوجية وتغيير المؤسسات ويعزز كلا من إمكانات الحاضر والمستقبل للوفاء باحتياجات الإنسان وتطلعاته".

كما أن اجتماع بيلاجيو BELLAGIO الذي عقد عام 1996، خرج بعشرة مبادئ، من أهمها:

**المبدأ الأول:** يركز على رؤية للتنمية المستدامة وأهدافها الواضحة تصل إلى تحقيق هذه الرؤية بشكل مفهوم لوحدة اتخاذ القرار.

**المبدأ الثاني والخامس:** يؤكدان على الحاجة إلى الجمع بين الإحساس بالمنظومة الكلية وتركيز الرؤية على القضايا ذات الأولوية.

**المبدأ الثالث:** يركز على الفقر وحقوق الإنسان جنباً إلى جنب مع استخدام الموارد؛ كما أن الموازنة بين احتياجات الإنسان واحتياجات الطبيعة لا تحمي فقط الحيوان والنبات من التأثير البشري ولكنها تبقى أيضاً على البيئة الطبيعية في حالة سليمة للأجيال القادمة، وهو ما يؤدي إلى مفهوم الاستدامة.

ويعرف التنمية المستدامة تقرير Brandt Land لسنة 1997 على أنها: "تلبية حاجات الأجيال الحالية دون المساس بإمكانية تلبية حاجات الأجيال القادمة"<sup>1</sup>. ويقصد بمفهوم الاستدامة حسب تقرير لجنة برونتلاند العمل على عدم استمرارية الأنماط الاستهلاكية الحالية في بلدان الشمال والجنوب على حد سواء واستبدالها بأنماط استهلاكية وإنتاجية مستدامة، ودون ذلك فلا مجال لتحقيق استدامة تنمية شاملة على أرض الواقع.

كما أكد تقرير لجنة برونتلاند على الارتباط الوثيق بين التنمية البيئية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأنه لا يمكن إعداد أو تطبيق أية إستراتيجية أو سياسة مستدامة بدون دمج هذه العناصر معاً، في نطاق تفاعلي لجميع أقطاب المجتمع وضمن فضاء تشاوري وتشاركي، مع ضمان تحقيق ديمومة واستمرارية لهذا التفاعل.

كما عقدت قمة الأرض الثانية سنة 2002 بمدينة جوهانسبورغ لتحمل شعار "القمة العالمية للتنمية المستدامة"، حيث تم التأكيد على مفهوم التنمية المستدامة والمصادقة على خطة تدعم التنمية المستدامة في الألفية الجديدة<sup>2</sup>.

ويمكن إدراج تحت هذه التعاريف عدد من القضايا الهامة أهمها:

- إن التنمية المطلوبة تسعى لتقدم البشرية جمعاء وعلى امتداد المستقبل البعيد.
  - أنها تفي باحتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على توفير احتياجاتها.
  - أن المستويات لا تتجاوز الحد الأدنى الأساسي من الاحتياجات.
  - إن الاحتياجات كما يتصورها الناس تتحدد اجتماعياً وثقافياً ولا تتخطى حدود الممكن بيئياً.
- إذن فإن التنمية المستدامة هي تعبير عن التنمية التي تتصف بالاستقرار وتمتلك عوامل الاستمرار والتواصل، وبالتالي يمكن القول أن التنمية المستدامة هي تنمية تستجيب لمختلف رغبات وحاجيات الإنسان من المحافظة على البيئة ودون رهن مستقبل الأجيال القادمة<sup>3</sup>.

## 2 - المبادئ الأساسية للتنمية المستدامة:

لا يمكن تحديد عدد معين من المبادئ للتنمية المستدامة، فالمبادئ الستة التالية هي ثمرة البحث الذي قام به عدد

من الباحثين:

- الدمج: دمج الاعتبارات البيئية والاجتماعية والاقتصادية في عملية صنع القرار بشكل فعال.

- مشاركة المجتمع: لا يمكن تحقيق الاستدامة أو إنجاز أي تقدم نحوها من دون مشاركة ودعم المجتمع بكافة شرائحه.
- سلوك وقائي: حيثما تكون هناك تهديدات بوقوع أضرار بيئية جسيمة أو أضرار لا يمكن مداواتها، لا يستخدم الافتقار إلى التيقن العلمي الكامل كسبب لتأجيل اتخاذ تدابير فعالة من حيث التكلفة لمنع التدهور البيئي.
- العدالة ضمن الأجيال وبينه: الإنصاف والمساواة في الفرص للجيل الحالي وللأجيال المقبلة أيضا.
- تحسن متواصل: إن الوضع البيئي المتدهور يلزم باتخاذ إجراءات فورية لتصبح المجتمعات أكثر استدامة وتسعى للتحسن المستمر والمتواصل.
- سلامة بيئية: العمل من أجل حماية التنوع البيولوجي والحفاظ على العمليات البيئية الأساسية والأنظمة التي تدعم الحياة<sup>4</sup>.

### 3 - أبعاد التنمية المستدامة لتنمية المستدامة ثلاث أبعاد رئيسية وهي:

#### 1-3- البعد الاقتصادي: ويضم العناصر التالية:

- حصة الاستهلاك الفردي من الموارد الطبيعية.
- إيقاف تبيد الموارد الطبيعية.
- مسؤولية البلدان المتقدمة عن التلوث.
- تقليص تبعية البلدان النامية.
- التنمية المستدامة لدى البلدان الفقيرة.
- المساواة في توزيع الموارد.
- الحد من التفاوت في المداخل.
- تقليص الإنفاق العسكري.

#### 2-3- البعد البشري: ويضم العناصر التالية:

- تثبيت النمو الديموغرافي.
- مكانة الحجم النهائي للسكان.
- أهمية توزيع السكان.
- الاستخدام الكامل للموارد البشرية.
- الصحة والتعليم.
- أهمية دور المرأة.

• الأسلوب الديمقراطي الاشتراكي في الحكم.

### 3-3- البعد البيئي: ويضم العناصر التالية:

- إتلاف التربة، استعمال المبيدات، تدمير الغطاء النباتي والمصايد.
- حماية الموارد الطبيعية.
- صيانة المياه.
- تقليص ملاجئ الأنواع البيولوجية.
- حماية المناخ من الاحتباس الحراري.
- الأبعاد التكنولوجية.
- استعمال تكنولوجيات أنظف في المرافق الصناعية.
- الأخذ بالتكنولوجيات المحسنة والنصوص القانونية الزاجرة.
- المحروقات والاحتباس الحراري.
- الحد من انبعاث الغازات.
- الحيلولة دون تدهور طبقة الأوزون.

### ثانيا/ مفاهيم حول الأخلاق:

#### 1 - مفهوم علم الأخلاق:

علم الأخلاق يقصد به اصطلاحاً، العلم الذي يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان، وعرف أيضاً على أنه علم يبحث في قواعد السلوك أو محاولة يراد بها وضع مبادئ نظرية عامة تستخدم أساساً لكل القواعد العلمية التي يتطلبها سلوكنا الشخصي و تقتضيها سيرتنا العلمية و تصرفاتنا، ولا يمكن الاعتقاد أن اثر الأخلاق مقصور على الأفراد و سلوكياتهم الشخصية فقط، بل الأمر يتعدى إلى الأمم و الشعوب، فكم من حضارات و أمم اندثرت بسبب تردّي الأخلاق، فمدى تمسك الشعوب بالفضائل يعكس خصائصها و درجة رقيها الحضاري.

أما الأخلاقيات فهي مقارنة تهدف أمام معضلة معينة إلى اختيار أفضل حل ممكن على أساس القيم التي تم دراستها وقبولها واعتمادها مع الأخذ بعين الاعتبار السياق الذي تطرح فيه المعضلة وفقاً لمعطيات واقعية، وعليه فإن الأخلاقيات هي سلوك فردي - بين سلوكيات أخرى ممكنة - يكتسبه الإنسان من تربيته، وثقافته، وبيئته، وتجربته في الحياة، ولهذا توصف أحياناً بأنها فن قيادة سلوك معين.

قد يكون مصدرها خارجي أو داخلي:

- فيكون مصدرها خارجي إذا كانت تنحدر من القانون أو الدين أو المجتمع.

- يكون مصدرها داخلي إذا تم استحضار الأعمال والسلوكيات بصفة ذاتية وفحصها وتقييمها والحكم عليها

بمنأى عن معياري الخير والشر، وتسمى في هذه الحالة "الضمير الأخلاقي".

وهناك تباين ملحوظ بين الفلاسفة والمفكرين الأوروبيين بخصوص طبيعة المصدر الأخلاقي:

فيميل البعض إلى أن الأخلاق مكتسبة من خلال الطبيعة كما يرى الفيلسوف الفرنسي "بيير هنري ديتريش"، أو بيولوجية كما يرى البيولوجي الفرنسي "جون روستون"، أو المجتمع كما يرى الاجتماعى الفرنسي "إيميل دوركايم"، أو التربية كما يرى الطبيب النفسى النمساوي "سغموند فرود"، أو القانون باحترام حقوق الآخرين كما يرى الفيلسوف الفرنسي أندري "كونت سبونفيل".

## 2 - الأخلاق في الإسلام <sup>4</sup> :

تعتبر التوجيهات القرآنية والنبوية قواعد أخلاقية لتربية المسلمين، وصبغهم بصبغة الإسلام وتمييزهم عن غيرهم من الشعوب والأمم، من هنا نلاحظ أن الأخلاق لها معنيان: التكوين الطبيعي للإنسان ثم محصلة العادات المكتسبة، أي أن الأخلاق تمثل الفطرة والاكْتِسَاب، والفطرة والاكْتِسَاب يكشفان عن الخلق إذا دلا على نزوع نحو خصائص معلومة تكون في مجموعها طابعا ذاتيا مستقلا يتميز به الشخص، ويشترط في الخلق أربع صفات:

- النبيل الذي يجعلنا نقدره ونعجب به، أي أن تكون الأخلاق فاضلة، وأن تكون الأقوال والأفعال تدل على سلوك محدد، إن كان حميدا كان الخلق حميدا.

- اتفاق صفاته المختلفة مع خلقه الأصل.

- التشابه بين الشخص والأصل.

- التماسك والأحكام أي الثبات على هذه الصفات.

وبتطبيق هذه الصفات على القواعد الأخلاقية الإسلامية، نجد أن الأخلاق الإسلامية تسعى إلى بث الخير وإشاعته في المجتمع لقوله تعالى "وافعلوا الخير لعلكم تفلحون" (الحج:77)، كما تؤكد على ضرورة اتفاق الشخص مع صفاته الأصلية ومع أخلاق الإسلام لقوله تعالى "يا أيها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون" (الصف:2)، كما أن التشابه بين المسلم وأخلاق الإسلام لقوله تعالى "يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" (التوبة:119)، كما نجد الإيمان القوي (التماسك) يلد الخلق القوي لقوله صلى الله عليه وسلم "اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحوها وخالق الناس بخلق حسن"، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه الأخلاق ليست أخلاقا نظرية، أو أخلاقا تتبع حيننا وتترك حيننا آخر، أو تتبع في معاملة أناس دون غيرهم، يقول سبحانه وتعالى "ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى" (المائدة:8)، كما أن مخالفة أو إهمال أي

قاعدة من هذه القواعد وغيرها يخرج المسلم من دائرة المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم "من غشنا فليس منا" (صحيح مسلم: 279)، فانهيار الأخلاق مرده ضعف الإيمان وفقدانه، ومن هنا يمكن القول أن للقواعد الأخلاقية علاقة بمعاملات المسلم اليومية كلها وعلى الأخص معاملاته المالية، كما أن تعلم وتطبيق الأخلاق في المعاملات واجب ديني على المسلم، ان تصرفات المسلم اليومية (ومعاملاته اليومية جزء منها) تأخذ ثلاث أبعاد:

- البعد الأول: بين العبد وربّه، وهي الأخلاق المكتسبة حيث يتصرف الإنسان وفي نيته أرضاء الله.

- البعد الثاني: بين العبد ونفسه، (وهو ما يسمى في صفات الأخلاق بالتوافق)، فيغير الإنسان ما في نفسه ليصبح موافقا لشرع الله.

البعد الثالث: بين العباد، يتصرف العبد بوحى من ضميره وأخلاقه فيما بينه وبين الناس.

### ثالثا/ كيفية مساهمة الأخلاق الإسلامية في تعزيز مقومات التنمية المستدامة:

#### 1 - التنمية في الإسلام:

التنمية الاقتصادية وفق المنظور الإسلامي تشير إلى: " عملية تغيير شاملة وهادفة، تحركها وتديرها آليات منضبطة تنسق بين خطواتها وترسم مراحلها وتنظم مؤسساتها وتوجه سيرها، تنبثق هذه العملية من وعي المجتمع بضرورتها، وتبني قضيتها، وتفاعله مع متطلباتها، ترمي في مجملها إلى الخروج بهذا المجتمع من دوائر التخلف والفقر إلى الرفاه المادي والتوازن الاجتماعي والاستقرار النفسي، دون استحقاقات محددة، وتواخيح معينة لجني ثمارها، فهي عملية طويلة المدى، حضارية الأبعاد، المطلوب فيها العمل على إنجاحها بعزيمة وإرادة تتجاوزان الجني المباشر للثمار، وهذا لن يتأتى إلا بفهم عميق لمقاصدها ومغازيها ومتطلباتها المادية والمعنوية، فهي ضرورة لبقاء الأمم واستقلالهم ورفيهم في سلم الحضارة، تدرك هذه الضرورة إما بالمصلحة المادية أو المنطق المادي، أو بقاعدة عقائدية موجودة مسبقاً"<sup>5</sup>.

كذلك يمكن تعريف التنمية الاقتصادية في الإسلام بأنها: " تغير هيكلية في المناخ الاقتصادي والاجتماعي، يتبع تطبيق شريعة الإسلام والتمسك بعقيدته، ويعبئ الطاقات البشرية للتوسع في عمارة الأرض والكسب الحلال بأفضل الطرق الممكنة، في إطار التوازن بين الأهداف المادية وغير المادية ".

هذا ولم يرد لفظ التنمية الاقتصادية في الكتاب والسنة، لكن كثيرا ما تناول القرآن الكريم السلوك الاقتصادي وإحاطته به، وفرضية أن يكون هذا السلوك رشيداً في مجال الكسب والإنتاج والاستهلاك، ولم يستخدم القرآن الكريم مصطلح النمو أو التنمية، ولكن هنالك العديد من المصطلحات التي تدل على النمو أو التنمية والتي منها: الإعمار،



والابتغاء من فضل الله، والسعي في الأرض، والحياة الطيبة، والتمكين، ويعتبر مصطلح العمارة، والتعمير من أصدق المصطلحات تعبيراً عن التنمية الاقتصادية في الإسلام.

## 2 - التنمية المستدامة في الإسلام:

إن التنمية المستدامة من المنظور الإسلامي تتمثل في عمارة الأرض وإصلاحها بما لا يخل بالتوازن الذي وضعه الله في كل شيء في الكون، وفي عدم استنفاد العناصر الضرورية للحفاظ على سلامة البيئة، وفي الحد من تعريض الأرض وما عليها إلى مختلف أنواع التلوث، وفي تأكيد عدالة توزيع الموارد وعوائد التنمية، وفي الحد من أنماط الإنتاج والاستهلاك المنافية للاستدامة.

## 3 - الأخلاق الإسلامية والتنمية المستدامة:

اهتمت السنة النبوية كثيراً بموضوع البيئة، وتردد صداها في كثير من الأحاديث التي حثت المسلمين على احترام الكائن الحي وما يحيط به من نبات وأشجار ومصادر مياه متنوعة، ويمكن تقسيم موضوعات البيئة في السنة النبوية إلى القضايا التالية :

أ- المسؤولية الجماعية والمشاركة في المحافظة على التوازن البيئي: وعدم العبث بالموارد الطبيعية وحفظ حق الأجيال في استغلالها واعتبار أن الحياة مسئولية عامة إذا أحل بها نفر سار ضرره على الباقين، فعن النعمان بن بشير أن النبي  $\rho$  قال " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً<sup>6</sup> " .

وهذا الحديث يوضح مبدأ مهما في الشريعة الإسلامية وهو أن حرية الفرد مرهونة بما يلحق الآخرين من ممارستها فمتى ما لحق بالآخرين ضرر منع الفرد من مزاولته ما يريده وانعكاسات ذلك في مجال البيئة كثيرة فالمزارع ممنوع من أن يستعمل الأدوية والمبيدات الضارة بصحة الإنسان والحيوان حتى ولو كانت هذه تمكنه من زيادة إنتاجيته ودخله، وكذلك الصانع وغيره من الحرف التي تستغل الموارد الطبيعية، وهذا التوجيه النبوي يشرع أخلاقيات سامية في التعامل مع الطبيعة ومواردها وفي الحفاظ عليها ومنع أنانية الأفراد من تملكها والعبث بها .

## ب- الحث على الغرس واستغلال الأرض:

أمر الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة بالاهتمام بغرس الأشجار واستغلال الأرض وجعل ذلك من القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، فعن أنس ابن مالك عن النبي ﷺ قال: " ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة " <sup>7</sup> .

وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال: " من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر فإن له في كل شئ يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل " <sup>8</sup> .

وتعتبر السنة النبوية أن مهمة الغرس والزرع واستغلال الأرض من المهام المستديمة للإنسان حتى ولو أشرفت هذه الدنيا على النهاية، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: " إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها " <sup>9</sup> وهذا الحديث وغيره من الأحاديث التي وردت في ذات الموضوع توضح أن غراسة الأرض وزراعتها واستغلال الموارد الطبيعية مبدأ من مبادئ التشريع الإسلامي المؤدية إلى المحافظة على البيئة إذ كما نعلم أن اخضرار الأرض بأشجارها وزروعها مصدر من مصادر المحافظة على بيئة صحية ونظيفة .

### ج- الاهتمام بموارد المياه:

من الموضوعات البارزة في السنة النبوية المحافظة على مصادر المياه خاصة من التلوث، وعدم الإسراف في استعمال المياه، فقد نهى الرسول ﷺ عن تلويث المياه في الحديث الذي رواه أبو هريرة أنه سمع رسول ﷺ يقول: " لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه " <sup>10</sup> ، وأمر الرسول ﷺ بالمحافظة على مياه الشرب في أوانيتها حتى لا يصيبها ما يلوثها، فعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " غطوا الإناء وأوكوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الباء " <sup>11</sup> .

### د -المحافظة على الحيوان:

للحيوان حرمة في التشريع الإسلامي باعتباره كائناً حياً خلقه الله وسخره لخدمة الإنسان فلا يجوز أن يعذب به أو أن يسى معاملته إلا في أحوال نادرة كما إذا مثل الحيوان ضرراً على حياة الإنسان، وقد تناولت السنة النبوية موضوع حماية الحيوان في أحاديث كثيرة نذكر منها الحديث الذي رواه المغيرة أن النبي ﷺ مر على نفر من الأنصار يرمون حمامة فقال: " لا تتخذوا الروح غرضاً " <sup>12</sup> . وروى أن النبي ﷺ قال: " من قتل عصفور عبثاً عجز إلى الله يوم القيامة يقول يارب إن فلانا قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة " <sup>13</sup> ، وترسم السنة النبوية صورتين للتعامل البشري مع الحيوان في جانبين أحدهما سلمي والآخر إيجابي وتوضح جزاء كلا الصورتين عند الله سبحانه وتعالى حثاً على اتباع الصورة الإيجابية ونهياً عن الوقوع في الصورة السلبية، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل

بئرا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملاً خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً؟ قال في كل كبد رطبة أجر" <sup>14</sup> ، وفي الصورة المعاكسة يروي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار. قال: " فقال والله أعلم لا هي أطعمتها ولا سقتها حين حبستها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض" <sup>15</sup> ، وهكذا تبين السنة النبوية أن التعامل مع الحيوان يمكن أن يفتح طريقاً إلى الجنة ويمكن أن يوقع صاحبه في النار.

#### ذ - العناية بالنظافة العامة:

حثت السنة النبوية المؤمن على أن يكون نظيفاً طاهراً وأن يهتم بنظافة محيطه مسكناً كان أو شارعاً وربطت ذلك كله بالأجر العظيم عند الله سبحانه وتعالى : ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " الأيمان بضع وستون - أو سبعون - شعبة، أدناها إمطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله" <sup>16</sup> ، ويقول ﷺ " إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاث مائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهي عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامي فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار" <sup>17</sup> ويقول ﷺ : " البصاق على المسجد خطيئة وكفارتها دفنها" <sup>18</sup> ويقول ﷺ : " السواك مطهرة للضمرة لمرضاة للرب" <sup>19</sup> .

#### ر - الوقاية من الأمراض :

على الرغم من أن الأمراض والأوبئة هي قضاء وقدر يصيب المجتمعات والأفراد إلا أن الرسول ﷺ نبه المؤمنين إلى ضرورة المحافظة على وقاية أنفسهم من خطورة الأمراض وخاصة المعدية منها، وأن سياسة العزل واجبة الاتباع في المجتمعات الإسلامية إذا تعرضت لأخطار الأوبئة وفي ذلك يقول ﷺ : " لا يورد ممرض على مصح" <sup>20</sup> ، ويقول أيضاً : " إذا سمعتم بالوباء بأرض فلا تقدموا إليه فإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه" <sup>21</sup> .

هذه نماذج فقط من التوجيهات النبوية الكثيرة التي تمتلئ بتفصيلاتها كتب الحديث والتي تناولت أموراً غاية في الدقة مما له علاقة بتوجيه المسلم إلى العناية بنفسه ومحيطه وإرشاده إلى أن المحافظة على نعم الله التي أنعم بها على خلقه هي جزء من مرضاة الله سبحانه وتعالى ولذلك فإن الماء والهواء والأشجار والحيوان هي مصادر مهمة للحياة يستخدمها الإنسان في حياته وينفذ من خلالها إلى مرضاة ربه إن هو حافظ عليها وحافظ على حقوق الآخرين فيها، وينال سخط الله وغضبه إن عبث بها ومنع الآخرين من الاستفادة منها .

#### 4 - الحاجات الأساسية في الإسلام والتنمية المستدامة:

يتم إشباع الحاجات الأساسية في الإسلام عن طريق مجموعة من السلع والخدمات والحقوق والحريات الأساسية التي تحفظ وتصون الكليات الخمس وهي: الدين، النفس، العقل، النسل، المال.

#### - الحاجات الأساسية لحفظ الدين وصيانة الموارد المعنوية:

إن صيانة الموارد المعنوية وتنميتها يتطلب تخصيص جزء معتبر من إمكانيات المجتمع لإنتاج السلع والخدمات وتأمين الحقوق والحريات التي تحقق الإشباع الدائم والتعبئة المستدامة للموارد المعنوية، بما يضمن التوظيف الإيجابي لها في إطار عملية التنمية الحضارية الشاملة.

ولقد تفتن الاستعمار الجديد إلى أهمية عامل الدين في تكوين القيم العملية الإيجابية للأجيال وتشكيل الإرادة الحضارية لتحقيق التنمية، فعمل على كافة المستويات من أجل إضعاف الوازع الديني في نفوس المسلمين مستعملا الوسائل التالية:

- قنوات التربية والتعليم (صياغة برامج تبيع شخصية الإنسان)؛

- قنوات الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب الهدامة؛

- قنوات الجذب السياحي والتعليمي..؛

- قنوات الهجرة... وكلها سهام موجهة لإضعاف العقيدة الصحيحة، وإفسادا لعبادات الناس بكافة المغريات ووسائل الإبعاد والتجهيل بحقائق الدين وشعائره.<sup>22</sup>

#### - الحاجات الأساسية لحفظ النفس:

وهي مجموع السلع والخدمات اللازمة لكي يعيش الإنسان حياة كريمة تضمن استمرار وجوده، وهذا عن طريق توجيه جزء من موارد الأمة لإنتاج ما يشبع النفس ويحفظها، ومن جانب وجودها واستمرارها.

من خلال توفير الغذاء الملائم، والمسكن المناسب والمشرب الصحي والملبس الواقى، وكذا السلع والخدمات التي تحفظ النفس من جانب عدمها مثل السلع والخدمات الصحية العلاجية والآلات الطبية وتجهيزات المستشفيات وغيرها، وكذا الحقوق التي تؤكد كرامة الإنسان وتجسد مكانته.

وإن انتشار ما يتلف النفوس كلها أو بعض أجزائها مثل الأمراض الفتاكة، الأوبئة والمجاعات وسوء التغذية، الحروب والفتن، الاستعمالات الخطيرة للموارد الطبيعية وانعكاساتها على النفس البشرية، ينعكس في المجال الاقتصادي في صورة تعطل كلي أو جزئي لطاقت الفرد، فيحرم المجتمع من نتيجة عمله ومقدار مساهمته.

ولا شك أن القضاء على التي تخل بحفظ النفوس في المجتمع ستعود منافعها على الأمة، كما أشار لذلك ديننا الحنيف.<sup>23</sup>

### - الحاجات الأساسية لحفظ العقل:

معناه توفر السلع والخدمات الثقافية والتربوية والمعرفية لتنمية العقل وفتح مجالات التفكير والإبداع والابتكار أمامه من جهة وجوده، وتوفير الخدمات الإرشادية الضرورية لمكافحة كل سلعة أو خدمة تحجب العقل أو تعطله أو تنحرف به عن وظيفته الحقيقية، وكذا السلع والخدمات التحفيزية لاستقطاب الكفاءات والحد من خروجها عن دائرة الأمة بتوفير احتياجاتها الأمر الذي يؤدي إلى تزايد ذوي العقول الراجحات لدى الأمة على مر الزمن.

وبالتالي يقتضي الأمر تحديد السلع والخدمات التي تحتاجها القطاعات المرتبطة بحفظ العقل كقطاع التربية والتكوين، تأمين الحقوق والحريات المتعلقة بالتنمية العقلية.

وعليه فإنه كلما كثرت العقول، تزايدت الكفاءات اللازمة لتغطية الأنشطة والفروع بالقطاعات المختلفة للأمة، فتقوم فروض الكفاية، وتتزايد إمكانية التعبئة الفكرية والتكنولوجية وتستفيد الأمة من تكلفة الفرصة البديلة.

### - الحاجات الأساسية لحفظ النسل:

ونعني بها توفير السلع والخدمات اللازمة وتأمين الحقوق والحريات لحماية الجنين (ذكر أو أنثى) منذ بداية تكوينه إلى أن يصير كبيراً، فكل سلعة غذائية أو علاجية لرعاية الطفولة يجب توفيرها، هذا من جهة وجود النسل، أما من جهة عدمه فتدخل في هذا المجال الخدمات الإرشادية المتعلقة بمنع قتل الأولاد والترهيب من الإجهاض، والسلع والخدمات الصحية لحماية الأطفال من الأمراض والعاهات البدنية والنفسية والعقلية.

فبينما نلاحظ في البلدان المتقدمة تفشي ظاهرة الإجهاض وبنسب متزايدة، وصل العدد إلى أكثر من 50 مليون حالة سنوياً، وحالة البلدان المتخلفة كذلك حيث نلاحظ هدر كلية النسل في عدم الاعتناء بالأجيال الناشئة نتيجة الفقر والمجاعة وسوء التغذية وانتشار الأمراض الفتاكة، التي تهلك الملايين سنوياً ( 11 مليون طفل يموتون سنوياً بعد الولادة مباشرة، 120 مليون لا يحصلون على فرص التعليم).

## - الحاجات الأساسية لحفظ المال:

أي صيانة المال من الهدر والتبذير وذلك بالمحافظة على الثروات المتاحة والموارد المتوفرة لتمديد فترة الانتفاع به، وتقليل الهدر الناتج عن عوامل التصحر والانجراف والحرائق والتلوث وغيرها، مما يقلل من منافع الموال العامة، فمجموع السلع والموجهة لهذه الأغراض تدخل في صيانة وحفظ الأموال العامة، أما فيما يخص حفظ وصيانة الأموال الفردية فيتم عن طريق تنميتها واستخدامها استخداماً رشيداً لصيانتها وإعادة إنتاجها. وعليه فكل السلع والخدمات والحقوق والحريات تدخل في هذا المجال تساهم في حفظ الأموال الفردية.

ولا ريب أن تحقيق مقصد المحافظة على المال يرفع من درجة الكفاءة الاقتصادية في استخدامها وتخصيصها، فترتفع إمكانيات الاعتماد على الذات، كما أن التوزيع الملائم لتلك الموارد والثمرات الناتجة عن استخدامها يؤدي إلى زيادة الحافز للمحافظة على الأموال.<sup>24</sup>

## خاتمة :

الرسالة الإسلامية ومن منطلق كونها خاتمة الرسالات السماوية إلى البشرية كافة اهتمت بالبيئة اهتماماً كبيراً، لأن الله تعالى قد صنع وخلق البيئة وسخرها لخدمة الإنسان فمن الطبيعي أن يشرع القوانين ويضع النواميس التي تكفل حفظ التوازن البيئي، وترشد الإنسان إلى طريقة حماية البيئة، وكيفية التعااطي مع أنظمتها وقوانينها. ولكن مع الكثير من الأسف فإن عنصري الأخلاق والدين يغيبان عادة عن كتابات معظم الأكاديميين حول الموارد الطبيعية وأمور البيئة، وهذا ما جعل الدين عموماً والإسلام خصوصاً بعيداً عن كتابات هؤلاء، وبالتالي أدى ذلك إلى حرمان هذه المسألة من إبداعات ونتائج الفكر الإسلامي في موضوع البيئة وحمايتها، وأيضاً كان من نتائج ذلك غياب الدين وأفكاره وطروحاته عن كثير من قضايا الحياة الاجتماعية للإنسان.

وختاماً نقترح مجموعة من التوصيات نوردتها في النقاط التالية:

- تقديم الرؤية الإسلامية لمشكلات البيئية إلى العالم الآخر وذلك عن طريق ترجمة الأعمال الرائدة في هذا المجال إلى اللغات العالمية ليتعرف العالم على هذه الرؤية التي هي تعالج أساس المشكلات البيئية وتقدم حلولاً ناجحة لها .
- نشر ثقافة المحافظة على البيئة لدى الناشئة وذلك عن طريق تضمين المناهج الدراسية في المدارس والجامعات موضوعات تعرف بالمشكلات البيئية وطرق الوقاية منها .
- التأكيد على دور المنظمات والهيئات المدنية في رفع درجة الوعي البيئي ودفع الناس للمساهمة في المحافظة على البيئة .

- تدريس مواد علمية في الجامعات تساعد المتخرج منها في فهم الوقائع البيئية والحكم على قضاياها بصورة علمية .
- المساهمة في تفعيل دور الاتفاقيات الدولية وحشد الجهود على كافة المستويات لتنفيذ بنودها.

- 1 - هذا التقرير على اسم السيدة (Harlem Brandt Hand) رئيسة وزراء النرويج في سنة 1983 ترأست اللجنة الدولية للبيئة والتنمية، وهذه اللجنة أصدرت تقريرها سنة 1989 تحت اسم " مستقبلنا جميعا " هذا التقرير كان أساس جدول عمل اجتماع الأرض والتنمية سنة 1992 " قمة ريو: البرازيل " .
- 2 - **Eduard Goldsmith, *Le tadel L'écologie une rision écologique du monde*, éditions du rocher, Monaco 2002.P:18.**
- 3 - إبراهيم العيسوي، " التنمية : المفهوم والمؤشرات " مذكرات تدريبية غير منشورة، المعهد العربي للتخطيط بالكويت، 1994.
- 4- صالح العقدة ، "القواعد الأخلاقية للمعاملات المالية في الإسلام"، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، العدد 1، المجلد 10، الأردن، 2006.
- 5- جيمس غوستاف سبيث و شاير تشيما، إدارة الحكم لخدمة التنمية البشرية المستدامة، وثيقة للسياسات العامة لبرنامج الامم المتحدة الإنمائي، نيويورك 1997، ص8-ص13 .
- 6 رواه البخاري في كتاب الشركة تحت رقم 2493.
- 7 رواه البخاري في كتاب الأدب ح 5666 .
- 8 رواه أحمد.
- 9 رواه ابن حميد في مسنده ج 1 / ص366 / ح 6216 .
- 10 أخرجه البخاري في كتاب الوضوء .
- 11 رواه مسلم في باب الاشرية ح53742.
- 12 رواه الطبراني في معجمه الكبير ج20 ص386 ح905.
- 13 رواه النسائي وابن حبان.
- 14 رواه البخاري في باب المساقاة.
- 15 رواه البخاري في باب المساقاة / ح2236.
- 16 متفق عليه.
- 17 صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري / دار إحياء التراث العربي - بيروت / تحق: محمد فؤاد عبد الباقي / ج 2 / ص 698 / ح 1007 .
- 18 صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي / تحق: شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة - بيروت / الطبعة الثانية / 1414 - 1993 / ج 4 / ص 516 / ح 1637 .
- 19 رواه احمد في مسنده.
- 20 صحيح البخاري ح 5437.
- 21 صحيح البخاري ح 5397.
- 22- صالح صالح، المنهج التنموي البديل في الاقتصاد الإسلامي، دار الفجر، القاهرة، 2006، ص ص 230 - 231.
- 23 المرجع السابق، ص ص 241-244.
- 24 المرجع السابق، ص ص 246-248 .